أغرودة الليل

« إلى وردتي الشقراء ! »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشپان

JEAN RICHEPIN

بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزي

أواه ألحاني ، غردي ، غردي ! واسكبي الخمر عذباً ، صداح الأغاني ، إلى من تغنى بها الحبُّ في روض جناني ، وسكبت نشيد الهوى في كأس وجداني !

* * *

هام النور على جيد ليلاى ، ناشراً حلو الضياء ، وغنى سناه على جبين دنياي ، شادياً لحن الصفاء ، وداعب السحاب غصن مناي ، بأنامل النور والبهاء ، لما ارتقينا معراج السماء ، صوب المشرق الوضاء ، فانتشت بسلافه أفاويق الطرب ، ومراشف السرور ، واحتست شعاع النور بأقداح البسمات !

* * *

الدجى وسنان ، والليل سكران ، والكون نعسان ، والوسن هيمان ، وشمسي الذهبية أشرفت في رقة وحنان ، وبدت غدائرها المسجدية تهفو بنفح العبير وشذى الربيع النشوان . فدانيتها عن كثب مازجاً أشواق بأزهار جمالها ، ناهلاً النور من نجوى محياها ، راشفاً الضياء من سحر سناها ، الهاتك حجب الدجى وجحافل الظلام .

* * *

ويصوغ خاطري نجوم الكواكب الساطعة من درر ذلك النهر الباهرة ، قلادة ماسية متألقة ، ذات فتنة ووضاء ، وظلال ساحرة زرقاء ، ودرة يتيمة رائعة تزهر بسناها فوق أديم جيد الحبيب ، الندى الرطيب .

* * *

أواه ألحاني ، غردي ، غردي ! فوق ليلاي زاهر بأنواره كسنا التاج ، باهر بجلاله كأبهة الملك ، وحبيبتي بين أطيافه ملك تحف به سراته . . .

* * *

ليلاى ! أنا هائم بترتيل أبهى الأغاني ، والترنم بأعذب الألحان ! فحسبك أن تكوني يا حبيبتي وحي أشعاري ، ولحن قيثاري ، ومحراب إلهامي ، ونأي أنغامي !

* * *

حنانيك حنانيك يا وردتي الشقراء ! كوني لجمالك راعية ، ولدلالك رانية ؛ وابسمي ، وهيمي بنغم القوافي الراقصة في موكب حبنا ، ولحن الأغاني الشادية حول أجسادنا ! إسمعي أغاريد الصبوة الهائمة ، وأناشيد قيثارة الأشعار المترنمة ! إستمعي إليها . . . فقد هصرتها كلها من جنى الخيال ، وشهي الجمال !

* * *

أرهفي السمع لسحر الأغاني ، وشيق المعاني ، وحلو النغم وجرس الكلم . . . قد ملأت أقداحي بها من سلسبيل الفكر ، وعناقيد الغزل ؛ فارشفي منها رحيق القبل وافطفي منها جنى الثمر ! وأذني لورد شفتيك بالتفتح ، ليفضي عبيره بسر حبك ، ويهفو أريجه عن مكنون سحرك ، فيسعد طالعي ، وينعم خاطري . . .

* * *

وتنساب الأناشيد إثر وقع خطواتك الراقصة ، تناجي خيالك ، وتغازل جمالك في حنان الأم لرضيعها . . . فتصدح الأشعار بغرامك ، منشدة أهازيج هيامك . . . ؛ أني شاقتك الأغاني ، وطاب لك النغم . . .

* * *

ليلاى ! ثغرك النضيد حلو كالزهرة الباسمة ، ذات الفتنة والنقاء ، والسحر والصفاء . . . قد مزج بها منذ فضت عنك التمائم : ترنمت الأشعار بسنا جمالك وسجعت أغاريد الصيف البهي لصدى ضيائك وبهائك ، ولرجع جلالك ودلالك

* * *

أواه ألحاني ، غردي ، غردي ! فوق ليلاي زاهر

ترنمت الأشعار بجمال صدر قينوس الكاعب لصدى روعة ثديك الناهد ؛ سجعات قلبك الباسم ، وخطرات قدك الناعي هي تآلف أنغام غصنك الغانى وفرعك الدانى باللحن السامى

* * *

ترنمت الأشعار بخمر لحظك الوسنان ، وسلاف سحرك الفتان ، فسكرت الروح الهائمة بوصلك ، وثملت النفس الولهى بقربك ، وانتشت بخمر آثر من عتيق المدام ... ترنمت الأشعار يا ليلاى بفتنة غدائرك الذهبية المترجرجة ؛ وروعة خصلات شعرك الأرجوانى المنساب على عنقك العاجى ... فهام القلب بالشعر المسجدى ، وقدّم العمر قرباناً على مذبح الحب القدسى ، فى معبد الهوى العذرى !

* * *

وأخيراً صدحت الخواطر شجى الأغانى ، وغرّدت الأشعار رقيق المعانى ، مشدوهة هالعة عند ما تغنّيتُ مترنماً : « أنا المتيّمُ بهواكِ ، المعذّب بضنائك ، الشادى بجمالك ، اللحن عذب ألحانك ! »

* * *

واهاً من الحب والهوى ! الأشعار ظمأى لسلاف أغانيه ، وألحان مغانيه ، وشدو أنغامه على قيثار قوافيه ! ولا تسخرى يا حبيبتى من حمق مجاليه ؛ إذا تآلف لحنها ولم يتباين سجعها

* * *

ليلاى ! اعجمى أنى طاب لك الرقاد ! فالأشعار هى وثير فراشك ومثوى جسدك بين رياشك ، ولحم راقص على أهدابك الوطف الساجية ، بين أنغامه الحالمة ، وألحانه السامية ...

* * *

أواه ألحانى ؛ غرّدى ، غرّدى ! واسكبى الأحلام صداحة الأغانى ! وانشدى الأنغام سكرى بخمر الوصال فى دنيا الخيال ؛ ليتغنى النسيم على مسارح الغابات ، ويهفو بعبير النفحات ! ويصفق الهزار بجناحيه غرداً ، معرباً عن شجوه ، ويرقص الموج طرباً ، مغنياً فى كرنفال غديره .

عبد العزيز الفيزى

إلى زهرتى اليتيمـــة

[من دموع لم تذرف]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَئِنْ مَاتَ حَوْلَكِ نُورُ الضُّحَى ... وَرَانَتْ عَلَيْكِ سُتُورُ الظَّلامْ
فَلَا تَحْزَنِي .. فَالْهَوَى فِي دَمِي ... صَبَاحٌ يُزَلْزِلُ هَذَا الْقَتَامْ
وَفَجْرٌ مَدَى الدَّهْرِ يَبْقَى لَكِ
تُشَعْشِعُ أَنْوَارُهُ حَوْلَكِ
وَتَسْقِي أَبَارِيقُهُ لَيْلَكِ ...
... سَنَا خَمْرَةٍ لَمْ يَذُقْهَا الْأَنَامْ !

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ سَاقِي النَّدَى ... وَفَحَّتْ لَدَيْكِ أَفَاعِي الْهَجِيرْ
فَلَا تَجْزَعِي ... إِنَّ رُوحِي بِهَا ... لِآهَاتِ رَوْضِكِ نَبْعٌ غَزِيرْ
يُفَجِّرُهُ عَانِياً سِحْرُكِ
وَيُسْكِرُ أَمْوَاجَهُ عِطْرُكِ
فَتَجْرِي وَيَجْرِي بِهَا نُورُكِ ...
... إِلَى أَنْ تُلَاقِي الرَّكَابَ الأَخِيرْ !

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ سَاجِي الظِّلَالْ ... وَنَاحَتْ بِأَرْضِكِ ثَكْلَى الرِّيَاحْ
فَلَا تَجْزَعِي ... فَأَنَا نَسْمَةٌ ... وَظِلٌّ عَلَيْكِ رَطِيبُ الْجَنَاحْ
وَطَيْرٌ تَمَنَّا عُودُهُ فِي يَدَيْكِ
فَإِنْ أَوْمَأَ الْحُزْنُ يَوْمًا إِلَيْكِ
عَصَفْتُ بِلَحْنِي وَعُشِّي وَأَبْكِي ..
... لِأُفْنِيَ وَأَشْرَبَ عَنْكِ الْجِرَاحْ

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ زَهْرُ الرُّبَى ... وَكُنْتِ الْيَتِيمَةَ فَوْقَ الْهِضَابْ
فَلَا تَذْرِفِي دَمْعَةً ... إِنَّنِي ... خُلِقْتُ لِأَحْمِلَ عَنْكِ الْعَذَابْ